

الفصل الأول

اللاحن بين لقواعد والاستعمال

معنى اللحن في الكلام العربي وتطور استعماله ومقاومته

لكتابة هذه الفقرة ينبغي - كما هو واضح في عنوانها - تناول الأمور الآتية :

١ - معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع تقديم نماذج لها

٢ - بيان تطور استعماله في الكلام العربي باختصار

٣ - حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في جهود العلماء لتنقية اللحن

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن » ، وتعدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويدكر في هذا الصدد أن من معانيها « الفطنة والذكاء » ، استناداً إلى قول الرسول (لعل أحدكم أن يكبرن ألحن بحجته من بعض) أو «التظرف في الحديث بخاطله بالكلام الأجنبي أو الكلام المتعمد فيه الخطأ» كما روى ابن دريد أنه « قيل لمعاوية : أن عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ، فقال : أوليس بظريف !! ابن أخى يتكلم بالفارسية ، فظن معاوية أن الكلام بالفارسية لحن ، ومن ذلك البيت المشهور للفزاري :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها أيضاً « التورية » ، باستخدام معنى قريب وإرادة معنى بعيد ، وعلى ذلك ألف ابن دريد كتابه « الملاحن » ، قاصداً به استخدام الكلمات

وإرادة معان أخرى لا تخطر لأول وهلة على الذهن عند سماع الكلمة ، وفي مجال المعنى أيضاً أطلقت على « الخطأ في المعانى » وذلك باستعمال الكلمة أو التركيب كله على غير وجهه الذى قرره له العلماء ، وقد ألف المفضل ابن سلمة كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه العامة » عن هذا النوع من الخطأ في المعانى ، وجاء فى مقدمته قوله : « هذا كتاب معانى ما يجرى عن ألسن العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فيبيناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره »

فهذه المعانى وغيرها تندرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت فى عصور متفاوتة خاضعة فى ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات فى كل اللغات أو استعملت بمعان متعددة فى عصر واحد بعد أن تجمعت حول الكلمة ، والذى يعين أحد هذه المعانى ظروف الدلالة للنص الذى وردت فيه .

لا علينا من ذلك كله ، فإن اللحن الذى نقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة فى بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذى يشيع أولاً بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة ، واللحن بهذه الصفات أمر طارئ على اللغة الفصحى ، إذ أن المفترض فى نطق العرب لها أولاً هو الصحة والسلامة اعتماداً على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الأصل ، فما حاد عن هذا الأصل الفطرى المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نطقه حينئذ بأنه « لحن » وغالباً ما يضاف « اللحن » إلى « العوام » أو « العامة » تنبيهاً على الأصل الذى جاء منه الخطأ فى الاستعمال .

— قال ابن دريد : فأما اللحن فى العربية ، لأنك إذا قلت (ضرب

عبد الله زيد) لم يدرك أيهما الضارب ولا المضروب ، فكأنك قد عدلته عن وجهه ، فإذا أعربت عن معنك فهم^(١) عنك .

— سمع أبو عمرو بن العلاء أن أبا حنيفة يبطل القَوَدَ إلا ما كان قِلاً بحديد ، فقال له أبو عمرو : أرأيت إن ضربه بكذا ، أرأيت إن ضربه بكذا ، قال : لو ضربه بأبو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال أبو عمرو : هذا كلام شنع !! قال : وما الشنع ؟ قال : ولا تعرف الشنع أيضاً !!^(٢) .

— روى الزجاجي : كان سديريه مستملياً لحماذ بن سلمة — وكان حماد فصيحاً — فاستملاه يوماً قول رسول الله (ص) : ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت أخذت عليه ليس أبا الدرداء ، فقال سديريه : ليس أبو الدرداء ، فصاح به حماد : لحنْتَ يا سديريه ، ليس هذا حيث ذهبت وإنما هو استثناء ، فقال سديريه : لا جرم والله لأطالبن علماً لا تلحنني معه ، فضي ولزم مجلس الأحنش مع يعقوب الحضرمي والحائيل وسائر النحويين^(٣) .

— قال ابن الجوزي : واعلم أن غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمنون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم ، وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد ، وتارة يزيدون في الكلمة وتارة ينقصون منها ، وتارة يضعونها في غير موضعها ، إلى غير ذلك من الأقسام^(٤) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التي يوصف الكلام من

(١) الملاحن ص ٦ .

(٢) مجالس العلماء ص ١١٠ .

(٣) السابق ص ١٥٤ .

(٤) تقويم اللسان ورقة ٢ .

أجلها « باللحن والخطأ » ، فإن دريد يرى الإخلال بالإعراب في مثل (ضرب عبد الله زيد) لحناً في العربية ، وهذا حق ، ويفسره بالعدول عن الوجه فيه من نصب « زيد » في العبارة السابقة .

وأبو عمرو بن العلاء يصف نطق أبي حنيفة (ضربه بأبو قبيس) بأنه « كلام شنع » مستخدماً صيغة المبالغة في وصف الخطأ الإعرابي في الكلام الذي هو « اللحن » ، وهو ما ذكره صراحة حماد بن سلمة لسيديويه حين أخطأ في مثل ما أخطأ فيه أبو حنيفة من قوله (ليس أبو الدرداء) ، إذ صاح به حماد (لحنك ياسيديويه)

فمن ذلك يتضح أن اللحن يطلق على الخطأ في الإعراب إذا حدث في اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثراً بما شاع بين العوام وفي الكلام الدارج ، كما أنه يشمل أيضاً ما عدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم إلخ . وهذا في معظمه يتعلق ببنية الكلمات ، وقد سماه « غلط العامة » أيضاً .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وتارة يضعون الكلمات في غير مواضعها » وأفهم من ذلك ما يشمل تأليف الكلام العربي ورصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامها على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الأخير جانب أطلق العلماء عليه أيضاً أنه « لحن وخطأ » ، وإن لم يكن له من الكثرة والشهرة ما الإخلال بالإعراب أو بنية الكلمات .

فقد اندرج تحت ما أطلق عليه « اللحن » أمور ثلاثة ، أقلها شهرة واهتماماً الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ أو التركيب في غير ما هو له من المعنى ، وأعظمها شهرة وكثرة واهتماماً من علمائنا الخطأ في بنية الألفاظ أو الإعراب ، وسأقدم هنا أمثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ؛

فإن مؤلفات اللحن وحدها - فيما استقرأته وعرفته - بلغت أكثر من أربعين مؤلفاً، تحوى مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة، وسيأتى عرض ذلك فيما بعد .

أولاً : من نماذج الخطأ فى المعانى

١ - مما تضحى العامة فى غير موضعه قولهم (خرجنا ننزه) إذا خرجوا إلى البساتين ، وإنما (التنزه) التباعد عن المياه والأرياف ، ومنه قيل (فلان يتنزه عن الأقدار) أى يتباعد منها ، ومنه قول الهذلى :

أقرب طريق يد بنزه الفلاة لا يرد الماء إلا اثنياباً^(١)

٢ - ومن ذلك (الطرب) يذهب الناس إلى أنه فى الفرح دون الجزع وليس كذلك ، إنما (الطرب) خفة تصيب الرجل أشدة السرور أو أشدة الجزع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

وأراني طرباً فى إثرهم طرب الواله أو كالختيل^(٢)

٣ - ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الأصمعى : وليس كذلك ، إنما هى بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب أنه قال : إن ذلك لما يحشم بنى فلان ، أى : يغضبهم^(٣) .

٤ - ويقولون (بكرت إليك) بمعنى غدوت خاصة ، وقال أبو بكر - ابن دريد - البكور : التعجل فى جميع أوقات الليل والنهار ، يقال : أنا أبكر إليك العشية ، وأنشد أبو زيد لضمرة بن ضمرة :

(١) إصلاح المنطق ص ٢٨٧ .

(٢) (٣) أدب الكاتب ص ١٨ - ١٩ .

بكرت تلومك بعد وهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي
يقال : بعد وهن ، يعنى حيناً من الليل^(١) .

٥ - قولهم للشوب (وشاح) قال محمد - الزبيدي - والوشاح : نظمان
من أولوئى يخالف بينهما ، ويعطف أحدهما على الآخر ، وتنوشح به المرأة
على كشحها^(٢) .

٦ - ويقولون (ذو نفع وضُر) فيضمون ، قال محمد - الزبيدي -
والصواب (ضُر) بالفتح ، وأما (الضُّر) فهو السقم ، وقال الله عز وجل :
(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو)^(٣) ، وقال : (يدعو لمن
ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير)

٧ - ومن ذلك (الاستحمام) يكون عندهم بالماء الحار والبارد ، وليس
كذلك ، إنما الاستحمام بالماء الحار خاصة^(٤) .

٨ - قول المتكلمين (هذه المحسوسات) خطأ ، والصواب (المحسات)
لأنه يقال أحسست الشيء بمعنى أدركته ، فأما المحسوس فهو المقتول ، من
حسه إذا قتله^(٥) .

٩ - وتقول (استخفيت من فلان) والعامة تقول (اختفيت منه)
وإنما الاختفاء : الاستخراج ، ومنه قيل للنباش (محتف)^(٦) .

(١ و٢) لحن العوام ص ١٣٧ - ٢٠٦ .

(٣) انظر : لحن العوام ص ٢٤٤ .

(٤) لحن العوام ص ٢٥٦ .

(٥) ذيل الفصيح ص ١٠٢ .

(٦) رسالة في أغلاط العوام ورقة ١٠١ .

١٠ - وتقول (أصبح القوم) إذ صاحوا وجلبوا ، والعامّة تقول (ضجروا) وإنما يقال (ضجوا) إذا جزعوا^(١) .

ويكفي هذه الأمثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ في المعنى ، أو ما وصف بأنه « لحن العوام » ، والملاحظ على هذه الأمثلة - ومثلها كثير - أن الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال في فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ في الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التي قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست أحجاراً جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرأ عليها التغير في معانيها والتطور في دلالاتها بحسب العرف اللغوي الذي يستخدمها ، ومن المفيد أن نلاحظ أيضاً أن معاني هذه الكلمات العشر التي حكم عليها بالخطأ ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر ، وأنه لا يخطر ببال أحد استعمالها بالعرف الذي رأى العلماء أنه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذي يفهم من (خرجنا تنزه) التباعد عن المياه والأرياف ، ومن (الطرب) الحزن والسرور معاً ، ومن (الحشمة) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن (البسكور) اسم جبل عامّة ، ومن (الوشاح) نظمان من أوّاء لا الثوب ؟؟ ومن الذي يستخدم (الضر) بالفتح في مقابل النفع ، ويترك (الضر) بالضم ويفهم من (الاستحمام) أنه للماء الحار خاصة ، ومن (الاختفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح أن تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التبعيد والتحديد ، ولم يأخذ في اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراساتهم في واد والاستعمال في واد آخر ، ولست مغالياً إن قلت : إن هذه الجهود كلها أفادت من حيث الدراسة في ذاتها لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ،

(١) رسالة في أغلاط العوام ورقة ١٠١ .

ولذلك لم تفد كثيراً في تعديل ما أطلق عليه (البحر) في عصرهم أو بعد عصرهم .

ثانياً : من نماذج الخطأ في بنية الكلمات

١ - قولهم (دخل في غمار الناس) هذا مما يغلط فيه العامة، والعرب تقول (دخل في خمار الناس) أى فيما يواريه ويستتره منهم حتى لا يبين^(١) .

٢ - يقولون (مقداف السفينة) قال محمد - الزبيدي - والصواب (المجداف) ومنه جدف الطائر بجناحه يجدف جدوفاً . إذا كان مقصوعاً ، فرأيته كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ويدارك الضرب^(٢) .

وواضح أن الخطأ في هذين المثالين سببه التطور الصوتي ؛ لقرب المخرج بين كل من الخاء والغين في (خمار وغمار) وكذلك بين كل من الجيم والقاف في (مجداف ومقداف) وربما نطقت الجيم أولاً ثم تطورت إلى القاف .

٣ - قال الجاحظ : كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان ، فجعل يلحنان فقال الحاجب (قوماً فقد أوديتما أمير المؤمنين) قال عمر : أنت أذى لى منهما^(٣) .

٤ - قال أبو عمرو : يقال : أزلت له زلة ، ولا يقال (زلت) وقد أغلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلق) وقد أقفلته فهو مقفل ولا يقال (مقفول)^(٤) .

(١) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص ٢٤٦ .

(٢) لحن العوام ص ٦٩ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٤٠ .

(٤) لإصلاح المنطق ص ٢٢٧ .

٥ — ويقولون (هبت الأرياح) مقايضة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب أن يقال (هبت الأرواح) كما قال ذو الرمة :

إذا هبت الأرواح من نحو جانب به أهل نى هاج قلبي هبوبها

والعلة في ذلك أن أصل (ريح) (روح) لاشتقاقها من (الروح) وإنما أبدلت الواو ياء في (ريح ورياح) للكسرة التي قبلها ، فإذا جمعت على (أرواح) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العلة (١)

٦ — ويقولون للهلمرة (ميضئة) وبعضهم يقول (ميضاه) والصواب (ميضأة) باللهمة ، والجمع (مراضىء) (٢)

٧ — ويقولون (يوم مهول) ، والصواب (يوم هائل) و (أمر هائل) يقال : هائل الشيء يهولني هولاً ، فهو هائل (٣)

٨ — يقولون (استهتر الرجل فهل مستهتر) — بالمعلوم — والصواب (استهتر فهو مستهتر) — بالمجهول — وهو الذي يخلط في أقواله وأفعاله ، حتى كأنه بلا عقل (٤)

٩ — وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة وملحفة وملة ومذبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقة ومبرد ومطررد ومبضع ومنديل والمسلح — موضع بطريق مكة — والمرنج — النجم — كله بكسر الميم والعامة تفتحها (٥) .

(١) (٢٤١) لحن العوام ص ١٦٩ — ١٧٤ .

(٢) لحن العوام ص ٢٥٣ .

(٣) لحن العوام ص ٢٥٥ .

(٤) نقرم اللسان ورقة ٢٥ .

١٠ — ويقولون في جمع « بيضاء وصفراء وسوداء » « بيضاوات وصفراوات وسوداوات » وهو لحن فاحش ، لأن العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث أفعل بالآلف والياء ، بل جمعتها على (فَعَّل) نحو « بيض وصفر وسود » كما جاء في القرآن (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود) وفي قول امرئ القيس .

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا من الوحش أو ييضا بميثاء محلال (١) فالنماذج العشرة السابقة — ومثامها كثير — تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك أن الحكم عليها « باللحن والخطأ » جاء في ضوء القواعد الصرفية ، فبعضها يتعلق بالإخلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مسكان آخر في (غمار وخمار) و (مقداف ومجداف) أو بإجراء الإعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الإعلال والإبدال ، كما في (أوذيتما والأرياح) أو الزيادة والتجرد كما في (أزلت وزلت) أو صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكتبتها مثل (مغاق ومغلق — مقفل ومقفول — مهول وهائل — مِروحة ومَروحة الخ .) أو في الهمز والتسهيل كما في (مبيضاه وميضأة) أو بناء الفعل للمعلوم والمجهول حسماً ورد عن العرب وقررت كتب الصرف ، كما في (استهتر واستهتر واستضحك واستضحك) أو في صيغة الجمع المفرد كما في (بيضاوات وبيض) .

فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادئ محددة ، وفي ضوء هذه المبادئ غالباً نظروا إلى طريقة استعمال اللغة على مدى العصور ، فكل ما وجدوه مخالفاً لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه إلى العوام .

(١) تصحيح التصحيف وتحرير التعريف ورقة ١٠٤ .

ومن المفيد أن يعرف أن هذا النوع من الخطأ قد حظى بعناية العلماء عناية فائقة في دكتب لحن العامة ، مما لم ينل مثله المظهران الآخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني أو التراكيب والإعراب ، ولعل ذلك يرجع إلى الاعتقاد بأن هذا المظهر من اللحن أشد خطورة على اللغة من المظهرين الآخرين ؛ لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالإضافة إلى ما أطمأنا إليه من ضخامة الجهد التحريوي التي تقى من « اللحن » في الإعراب بالنسبة للجهد في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثاً : من نماذج الخطأ في التركيب والإعراب

- ١ - تقول (شكرت لك ونصحت لك) ولا يقال (شكرتك ونصحتك)
و (قد نصح لفلان وشكر له) هذا كلام العرب ، قال الله تعالى : (واشكروا لي ولا تكفرون) ، (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم) (١) .
- ٢ - قال الأخفش : أخبرني المبرد قال : أنشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي عشرونان ثنتان

فقلت : أيها الأمير ، هذا لحن ، لأن إعراباً لا يدخل على إعراب (٢)

- ٣ - من اللحن قرلهم - العزام - فيه تبارك وتعالى (هذه صفة ذاته ، وهو مبين بالذات) قال محمد - الزبيدي - ولا يجوز أن يلاحق الألف واللام (ذو ولا ذات) في حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات

(١) ما تلحن فيه العوام ص ٢٥ .

(٢) الموشح ص ٣٥٧ .

وإنما تقع أبداً مضافة إلى الظاهر ، ألا ترى أنك لا تقول (الذو ولا الذوان ولا الذون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاته ولا بذاتك) وقد غلط في ذلك أهل الكلام وأكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء^(١) .

٤ — قال أبو زيد الأنصاري : لقيت أبا حنيفة ، فحدثني بحديث فيه (يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين قد أحشتهم النار) فقالت له : إنما هو (منتنون قد محشتهم النار) فقال : ممن أنت ؟ ؟ قلت . من أهل البصرة ، فقال . أكل أصحابك منك ؟ ؟ قلت . بل أنا أخسهم حظا في العلم ، فقال ، طوبى لقوم يكون مثلك أخسهم حظا^(٢) .

٥ — ويقولون (أدخل باللص السجن) والصواب أن يقولوا (أدخل باللص السجن) لأن الفعل تارة يعدى بهمة النقل كقولك (خرج وأخرجته) وتارة بالباء ، كقولك (خرج وخرجت به) فأما الجمع بينهما فممتنع^(٣) .

٦ — العامة تقول (فعل الغير ذاك) فيدخلون على (غير) أداة التعريف ، والمحققون من النحويين يمنعون من إدخال الألف واللام عايه ، لأن المقصود بدخول آلة التعريف على النكرة أن تخصصه لعينه ، فإذا قيل (الغير) اشتمات هذه اللفظة على ما لا يحصى كثرة^(٤) .

٧ — والعامة تقول (لا أفعل هذا قط) في المستقبل (ولا أفعله أبدا) وهو غلط ، والصواب أن تقوله في الماضي (ما فعلت هذا قط) أى فيما انقطع من عمرى^(٥) .

(١) لحن العوام ص ١٢ .

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتعريف ص ٣٨ .

(٣، ٤) تصحيح التصحيف وتحرير التعريف ورقة ٥٩ - ٢٤٠ .

(٥) تصحيح التصحيف وتحرير التعريف ورقة ٢٥٤ .

٨ - (غير) اسم ملازم للإضافة في المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظاً إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة (ليس) ، وقولهم (لا غير) لحن ، ويقال (قبضت عشرة ليس غيرها)^(١) .

٩ - (عند) لا تقع إلا ظرفاً أو مجرورة بمن ، وقول العامة (ذهب إلى عنده) لحن^(٢) .

١٠ - ونقول (ما رأيته من أمس ومن أيام) وهو غلط ، لأن (من) تخص المسكان و (مذ ومنذ) يختصان الزمان^(٣) .

وبلاحظ على الأمثلة العشرة السابقة أن الكثير منها يتعاقب بتأليف التركيب العربي ، والأمر الذي استقر عليه هذا التأليف بين النحاة ، وما جاء مخالفاً للطرائق المنظمة لذلك ينبغي أن يدخل دائرة اللحن والخطأ ، كما هو واضح تماماً في (أدخل باللص السجن) و (شكرت لك ونصحت لك) و (لا أفعل هذا قط) والصحيح فيه (ما فعلت هذا قط) وكذلك (لا غير) والقواعد تقتضي بأن التعبير الصحيح هو (ليس غير) - كما أن بعض الأخطاء تعود - في نظر النحاة - إلى استخدام الأدوات بطريقة غير ما استقر عليه الأمر - وبخاصة حروف الجر - كما في (ذهب إلى عنده) وصحتها (جئت عنده) و (جئت من عنده) وكذلك (ما رأيته من أمس) وتقتضي القواعد استخدام (منذ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك إلى الشكل الإعرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ، كما في (عشرونان) إذ قال المبرد منها على الخطأ فيها ، أيها الأمير ، هذا لحن ، لأن إعراباً

(١) المعنى ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) المعنى ج ١ ص ٦٥١ .

(٣) رسالة في أغلاط العوام ورقة ١٢٢ .

لا يدخل على إعراب ، وكذلك قول أبي حنيفة (يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين) حيث صححها له أبو زيد الأنصاري بقوله (منتنون) تنبيهاً على الخطأ الإعرابي في الصفة .

وطريقة تأليف الكلام واستخدام الأدوات النحوية والإعراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغوي وأسراره .

والذي أفهمه أن إيراد مثل هذه الأخطاء النحوية في دراسة « لحن العامة » هو إيراد لما حدث في « اللغة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة في مجالات المواقف الجادة من القول بين العلماء والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبول ما رآه بعض الدارسين من أن « العوام » الذين أضيف إليهم « اللحن » في كتب « لحن العوام » هم عوام العلماء والخاصة ، فهو رأى يقبل عن هذه الأخطاء القليلة التي تتعلق بالتركيب والإعراب ، أما غير ذلك من مظاهر اللحن المتعلقة بالمعاني أو بنية الكلمات ، وكذلك في هذا المظهر في إضافته إلى العامة من الناس العاديين ، فأغلب ظني أن كل ذلك كان شائعاً إلى حد الكثرة ، وأنه لم يكد القرن الثاني ينقضى حتى تنوعت العاميات وكثرت الأخطاء بين الناس العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدأ اللحن في الكلام العربي وكيف تطور ؟؟

لا يستطيع الوصول إلى حقيقة حاسمة عن هذه الظاهرة في العصر الجاهلي - شأنها في ذلك شأن كثير من ظواهر اللغة والأدب عن هذا العصر - فإن كثيراً من شؤون الجاهلية تسكاد تسكون مطموسة تماماً ، أو على الأقل غير مؤكدة ، إذ تعتمد على الظن الغالب لا الأدلة المقنعة ، والغالب أن اللغة العربية في العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلف فيما بينها

ماختلف القبائل وعرف كل قبيلة في لهجتها ، وأن اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم بين الجميع حدث فيها أحيانا اللحن والخطأ ، ولو صح أن الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن إلى العصر الجاهلي ، لجاءتنا كتب في « لحن العامة » عن هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما تلاه حين نصبت الدراسة وتنوعت ، وكان اللحن أحد المظاهر التي اهتمت بها ، وقد مر أن طرفة بن العبد قال وهو صغير .

يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فيبضى واصفري
ونفري ما شئت أن تنفري قد رفغ النفخ فإذا تحذرى
لا بد يوما أن تصادى فاعبرى^(١)

فما هو الوصف الذي كان من المتوقع أن يطلقه النحاة على عبارة (ماذا تحذرى) غير الضرورة أو اللحن ، على أن النحاة أنفسهم قد خطأوا فيما بعد قول النابتغة الذبياني :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
وقالوا : كان حقه أن يقول (نافعا) لا (نافع) فإن النكرة لا تصف المعرفة .
وعلى كل حال فإن كلمة « اللحن » قد ترددت بين العرب مع ظهور الإسلام فيما نقل عن عمه المبكر ، إذ نقل أن الرسول ﷺ قال :
« أنا من قریش ، ونشأت في بني سعد ، فأني لى اللحن » ، ونقل عن الصديق (ض)
قوله « لأن أقرأ فأسقط أحب إلى من أن أقرأ فألحن » ، وكذلك قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب وجاء فيه (من أبو موسى الأشعري) وما رد به عليه عمر من قوله : اضرب كاتبك سوطا واحدا وأجز عطاءه سنة^(٢) .

(١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٣ ص ١١٠ .

(٢) انظر : مراتب النحويين ص ٥ - ٦ .

فإن هذه الروايات المتناثرة — إن صحت — تدل على معرفة اللحن في ذلك العصر وفيما قبل ذلك العصر الإسلامي المبكر ، إذ أن استخدام اللفظة في ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينذاك قد سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم ، وفي ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك في الجاهلية وإن لم ينقل ذلك وتتناقل مظاهره .

وحين تأخر الزمن قليلاً — في عهد الأمويين في القرن الأول الهجري — أصبح اللحن قضية ذات خطر في استعمال اللغة ، وهذا طبيعي ! إذ اتسعت الدولة الإسلامية ، وكثرت دواعي الاختلاط بالأجانب ، من الحرب والجوار والخدمة والمعاشة ، وجاءت عن ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللحن بين الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب نفسه استحقت الرواية والتناقل ، ولنا أن نتخيل الأخطاء الكثيرة مما لم ينقله أحد أو يعنى به ، لأنه كان يحدث بين الناس العاديين من جمهرة العرب والمسلمين ، وأكبر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته أنه كان سبباً في بداية النحو العربي حول النصف الأول من القرن الأول الهجري ، على اختلاف الرواة فيمن تنسب إليه تلك النشأة .

كان لخالد بن يزيد بن معاوية أخ ، فجاءه يوماً فقال : إن الوليد بن عبد الملك يعث بي ويحتقرني ، فدخل خالد على عبد الملك — والوايد عنده — فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره — وعبد الملك مطرق — فرفع رأسه وقال : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها — الآية) فقال خالد (وإذا أردنا أن نهلك قرية — الآية) فقال عبد الملك : أفي عبد الله تسكمني وقد دخل على فما أقام لسانه لحنا !! فقال خالد : أفعلى الوليد تعول !! فقال عبد الملك : إن كان الوايد ياحن ، فإن

أخاه سايهان ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يابن ، فإن أخاه خالد - في كلام كثير طويل (١) .

• تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة ، فلحنت وهي عند الحجاج ، فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة في بيت قيس !! فقالت : أما سمعت قول أخي الملك لأمرأته الأنصارية ؟ قال ما هو ؟ قالت :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : إنما عني أخوك اللحن في القول - إذا كنى المحدث عما يريد - ولم يعن اللحن في العريية ، فأصلحني لسانك (٢) .

• وروى عن الأصمعي قوله : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل ، الشعبي وعبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج أفصحهم (٣) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث أنها جاءت عن شخصيات لها تميزها في العصر الأموي سواء من حدثت منه أو من حدثت في حضرته أو من قيلت عنه ، ويعود هذا التميز إلى أنهم من أصحاب الحسك أو من أهل العلم في العصر الأموي ، فكيف كان الأمر بين العوام من الناس ؟ ومع ذلك فإنها تدل على العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحظة الحادة بين خالد بن يزيد وعبد الملك عن عبد الله بن يزيد والوليد بن عبد الملك ، كما أن فيها دلالة على التشدد والعنف مع من يلحن في كلامه ، كما هو واضح في ذلك الإنكار والردع من الحجاج

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) أمالي مرتضى - القسم الأول ص ١٥ .

(٣) أمالي الزجاجي ص ٢٠ .

لهند بنت أسماء - كما تدل في الجانب المقابل على أن « الخلو من اللحن » يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه الفخر والثناء ، كما هو واضح من أسلوب الإعجاب الذي يقرر به الأصمعي هذه الحقيقة عن الشعبي وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روى من « مواقف اللحن » في القرن الأول الهجري قد لا يسه العار والاحتقار أو الإنكار والردع ، أو استحقاق من يعرى عنه الفخر وحسن الذكر ، مما يفهم منه أن اللحن كان يمثل في ذلك الوقت أمراً جديداً خطيراً ، أو بعبارة أدق : أن شيوعه بين الناس كان ظاهرة جديدة خطيرة يستحق من يبرأ منها الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر والنكران .

فإذا ما تأخر الزمن إلى القرن الثاني الهجري - وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - أصبح ما كان إحساساً بالخطر خطراً حقيقياً ملموساً ، وما كان مواقف متناثرة تذكر فتسكر أمراً شائعاً بين الناس من غير نكير ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع .

ففي رواية اللغة رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن الحضر بعد أن شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللغة - في نظرهم - أهلاً للنقل والاجتهاد . وفي الدراسة اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه الفترة بكتاب « السكاسي » الذي ما يزال موجوداً بين أيدينا الآن عن « ما تلحن فيه العامة » .

• قال الرشيد يوماً لبنيه : ما ضر أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه !! أيسر أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته !! (١) .

• ودخل الفراء يوماً على الرشيد ، فسكّم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين إنه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : أتأذن يا يحيى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طباع أهل البدو الإعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحن ، فاستحسن الرشيد كلامه^(١) .

• وكان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلاّلات إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا أمّؤلاً شعرا يغنون فيه ، فوجه إلى أبي العتاهية - وهو سجين - فصنع لهم « زهديته » ، التي أبكت الرشيد حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح^(٢)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة قصداً عن « عهد الرشيد » ، الذي عاصر الفترة الأخيرة من القرن الثاني ، وهي تدل على الأمور الآتية :

أن إجادة الفصحى أصبحت صناعة يبحث الرشيد أبناءه على الأخذ منها بما يصلح للسان ، كيلا يكونوا كمن يخالطونهم من العبيد والإماء في اللحن والخطأ .

وأن العلماء أنفسهم كانوا يلحنون في حياتهم العادية ، ولم يروا ذلك عيباً يفض من شأنهم ، وقد اعترف بذلك الفراء قائلاً : إذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع ، لحن ، ونال هذا الاعتراف استحسان الرشيد لأنه الحقيقة .

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٣ .

(٢) انظر : الأغاني ج ٣ ص ١٧١ .

وأن العامة كانوا أشد من ذلك لحناً ، ويمثلهم هؤلاء الملاحون في
« الزلالات » الذين يغنون على مقتضى طبيعتهم ، فيعجب غناؤهم الرشيد ،
لكنه يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فنع عن نفسه التأذى بتقديم الكلام
الفصيح لهم ، لكن من الذى يمنع ذلك عنهم أو عن غيرهم حين يغنون
أو يتكلمون فى غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، واطرد نموها بتأخر
الزمن ، فالقرن الثالث أقل حظاً فى الفصاحة من القرن الثانى ، وفى الجانب
المقابل عظم اللحن أكثر من ذى قبل .

وقد روى الجاحظ نواذر كثيرة عن « اللحن فى القرن الثالث » فى كتابه
« البيان والتبيين » مما سمعه ووصفه ، وعابه على من يتكلمون الفصاحة من
علماء اللغة والإعراب ، فقال : « إن أقبح اللحن لحن أصحاب التعقير التعقيب
والتشديد والتعطيل والجمهورية والتفخيم ، وأقبح من ذلك لحن الأعراب
النازلى على طرق السابلة ، وبقر مجامع الأسواق ^(١) » ، وإذا كان اللحن قد
امتد إلى هؤلاء الأعراب والعلماء المتقربين فى نطق اللغة ، فلما أن تتصور
ما كان بين عامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع أو بالصنعة !!

أما فى القرن الرابع الهجرى - الذى انتهى فى آخره الاستشهاد - فقد
وصل الأمر إلى مداه ، وطفى اللحن على الخاصة والعامة ، وعلى أصحاب الطبع
فى البداية وأصحاب الصنعة فى الحضر .

● يقول الأمدى : والمتأخرون لا يكادون يسمون من اللحن ، وهذا
فى أشعارهم كثير جداً ^(٢) .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) الموازنة ج ١ ص ٤١٦ .

• ويقول أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلم العربية جملاً وتعدياً ، حتى إنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قال : النحر أوله شغل وآخره بغى ^(١) .

والآمدى وأبو جعفر النحاس من علماء القرن الرابع الهجرى الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد باللغة التى كان من أهم عواملها شيوع اللحن بين الناس حتى الشعراء أنفسهم ، وأصبح اللحن لا يكاد أحد من المتأخرين يسلم منه - كما يقول الآمدى عن معاصريه - وصار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جملاً وتعدياً - كما يقول النحاس - ومن قبل كان تعلم العربية من الأمور التى يتوأسى بها الناس ، ويحضى عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الأمر ، فأصبح تعلم العربية عن طريق الصناعة النحوية موضع سخرية الناس « والنحر أوله شغل وآخره بغى » - تماماً كما نعيش اليوم فى عصرنا الحاضر !!

وليس من المفيد كثيراً أن نتابع تطور « قضية اللحن » بعد عصر الاستشهاد ، فقد أصبح « اللحن » هو القاعدة بين الناس فى حياتهم العامة وتسرب إلى التأليف العلمى نفسه ، كما هو واضح فى بعض موسوعات التاريخ فى القرن السادس وما بعده - وستأتى نماذج من ذلك - حتى قال أحد المتأخرين « إن اللحن قد فشا فى الناس ، والألسنة قد تغيرت ، حتى صار التسكلم بالإعراب عيباً ، والنطق بالكلام الفصيح عيباً » ^(٢) .

فاذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟ ؟

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ١٦١ .

(٢) صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٣ .

لقد نظر علماء اللغة إليه من زاوية « الخطأ » فقاوموه بعنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم معه ، بل إن العكس هو الصحيح ، إذ انتصر اللحن بغلبة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور باستمرار .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور ، والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها — عرفت على قدر جهدي — يوضح ذلك .

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ وفاته	الإشارة إلى ما هو موجود
١ - ما يلحن فيه العوام	علي بن حمزة الكسائي	(١٧٢) مطبوع
٢ - ما يلحن فيه العامة	يحيى بن زبادة الفراء	(٢٠٧)
٣ - ما يلحن فيه العامة	لأبي عبيدة معمر بن المثنى	(٢١٠)
٤ - ما يلحن فيه العامة	لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي	(٢٣١)
٥ - إصلاح المنطق	لابن السكيت يعقوب بن إسحق	(٢٤٤) مطبوع
٦ - ما يلحن فيه العامة	لأبي عثمان المازني	(٢٤٨)
٧ - ما يلحن فيه العامة	لأبي حاتم السجستاني	(٢٥٠)
٨ - تقويم اللسان	لأبي محمد عبد الله بن مسلم	مطبوع
(أدب السكاك)	ابن قنيبة	(٢٧٦)
٩ - لحن العامة	لأبي حنيفة أحمد الدينوري	(٢٩٠)
١٠ - ما يلحن فيه العامة	لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب	(٢٩١)
١١ - ما يلحن فيه العامة	لأبي الهيثم كلاب بن حمزة العقيلي	(٣٠٠)
١٢ - اللحن الخفي	هائثم بن أحمد الحلبي	(٣٧٧)
١٣ - لحن العوام	لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي	(٣٨٠) مطبوع
١٤ - لحن الخاصة	لأبي هلال العسكري	(٣٩٥)
١٥ - تثقيف اللسان	عمر بن مكي الصقلي	(٥٠١) مطبوع
١٦ - درة الفواص	لأبي محمد القاسم بن علي الحريري	(٥١٦) مطبوع
١٧ - تكملة إصلاح ما تناط	لأبي منصور الجواليقي	(٥٣٩) مطبوع
فيه العامة .		
١٨ - تقويم اللسان	لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي	(٥٩٧) مصور
١٩ - لحن العامة	ابن هشام محمد بن أحمد اللخمي	(٦٠٠) مصور
	(٣ م - المظاهر الطارئة)	

اسم الكتاب	المؤلف وتاريخ وفاته	الإشارة إلى ما هو موجود
٢٠ — ناظر لإنسان عين المعاني	محمد بن أحمد بن جامع	(٧٢٧) مصور
٢١ — لحن العامة	لابن هاني محمد بن علي السبتي	(٧٣٣)
٢٢ — غلطات العوام	جلال الدين السيوطي	(٩١١) مخطوط
٢٣ — التنبيه على غلط الجاهل	لابن كمال أحمد بن سليمان	(٩٤٠) مطبوع
	والنبيه .	
٢٤ — بحر العوام فيما أصاب	رضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي	مطبوع
	فيه العوام .	(٩٧١)
٢٥ — غلطات العوام	مصطفى بن محمد خسر وزاده	(١٠٠٠) مصور
٢٦ — لف القباط لتصحيح	محمد صديق بن حسن البخاري	(١٣٠٧) مطبوع
	ما استعملته العامة	
١٧ — أغلاط العوام والخواص	(مجهول)	مصور
٢٨ — سقطات العوام	(مجهول)	مصور
٢٩ — أصول الكلمات العامية	حسن توفيق العدل	(١٣٢٢) مطبوع
٣٠ — تهذيب العامي والمحرف	حسن علي البدر اوى	مطبوع

ملاحظات على متاومة العلماء اللحن

١ - بنظرة واحدة إلى الجدول السابق الذى أمكننى معرفة ما فيه من كتب لحن العوام - الموجد منها والمفقود - يتضح أن مقاومة العامية كان شديداً فى القرن الثانى والثالث والرابع ، ثم بدأ يقل تدريجياً بعد ذلك ، ولهذا دلالاته ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن فى الفترة التى كانت اللغة مورداً للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التى اعتقدوا نقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة فى الحضر قياساً عليها .

٢ - كان من المفترض أن تعتمد التنقية على استقرار لاستعمال اللغة التى يعاصرها المؤلف والتى تستعمل بين الناس فى عصره ، لكن الذى حدث - فيما اطلعت عليه منها - لم يكن كذلك ، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقلون غالباً ما أورده من سبقوهم فى كتبهم ، وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة فى «تقويم اللسان» على ابن السكيت فى «إصلاح المنطق» واعتمد الزبيدى فى «لحن العوام» على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر أسماءهم دون كتبهم - واعتمد ابن الجوزى فى «تقويم اللسان» على كتب من سبقوه ، وذكر فى مقدمة الكتاب أنه جمع فيه ما رآه مبدداً فى كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما نعم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر ، وتتمل السيوطنى كتاب ابن الجوزى برمته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان «غلطات العوام»

٣ - يلاحظ أنه يقصد بالعوام والعامية فيما اطلعت عليه من تلك الكتب «الناس العاديون» بدليل النص أحياناً على «الخواص والخاصة» ولكن الذى قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد أن أصبحت تستعمل فى مستوى خاص ، وتسرب إليها «لحن العوام» فبقيت النسبة إلى العوام ، وإن كان

المقصود بذلك ما حدث في اللغة الفصحى التي يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي (في مقدمة كتابه « لحن العوام » ، ص ٨) فهذا مما أفسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنته الشعراء أشعارهم ، واستعمله جملة الكتاب وعلية الخدمة في رسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم ، فرأيت أن أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه .

وعلى ذلك فإنه لا معنى للكلف بتوجيه معنى (العامة) إلى عامة العلماء . كما حاول ذلك بعض الدارسين في العصر الحديث .

٤ - تمتيت أن أجد في أحد هذه الكتب حديثاً عن « اللحن » ، فسكرة . وموضوعاً ، لكن لم تتحقق لي تلك الأمنية في أحدها ، إذ يتجه الحديث فيها مباشرة - بعد مقدمة قصيرة - إلى إيراد الكلمات وبيان خلطها أو صحتها اعتماداً على النقل في غالب الأحيان كما سبق ذلك .

٥ - ومع نظرة إلى هذه الجهود الطيبة المخلصة في الجدول السابق - وإلى غيرها مما لم أعرفه - يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود في حل قضية اللحن ، وإيقاف تياره المتدفق ؟ ؟

تساؤل يتضح المتصود منه في الفقرة التالية إن شاء الله .

نظرة النحاة إلى اللحن بين القواعد والاستعمال

إن تحديد نظرة النحاة إلى اللحن أمر يسير لا عسير فيه ، فقد نظروا إليه من زاوية « الخلق » ، واعتبروه انحرافاً عن الطريقة الصحيحة التي ينبغي أن يأتي عليها النطق العربي السليم ، ولم يؤخذ في الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فإن اللغة - شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها - تتطور باستمرار في معانيها وبنيتها وتراكيبها ، ولا تخضع طويلاً للقواعد المدسقة والنظام الجميل ، لأن اللغة نظامها الذي يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، وعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادرتة ، وملاحظته لا تجميده ، فإن المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وإن أمكن ذلك بالنسبة لدراستها « ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما أسموه « اللحن » من زاوية « الخلق » كان سندها « القواعد الحادة » التي وضعوها وألزموا أنفسهم بها ، وإن لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأييده بالأمور الثلاثة الآتية :

- ١ - جهود النحاة في مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد
- ٢ - خضوع النحاة أنفسهم لسطوة اللحن مع أنهم حراس القواعد
- ٣ - التصدع الذي قام - واستمر قائماً - بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد ارتبطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التي جاءت عن ذلك تقرر هذه الفكرة صراحة أو تمثيلاً ، بوصف صورة النطق الملحون

فيه ، والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد ، ويبدو أن هذه الصلة بين القواعد واللحن في فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تأخر الزمن ونضج الدراسة ، وهي صلة قوامها التناظر بين القواعد وما خرج عن هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على أن تكون القواعد - من وجهة نظر النحاة - هي الحكم في هذه المظاهر ، أو بعبارة أخرى : القواعد هي «الصواب» وما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو «الخطأ» .

• قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة الناس يلحنون ووجوه الناس ، فوضع أبو الأسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع ، والنصب والجزم^(١) .

• وروى القفطى عن أبي الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين على - عليه السلام - فأخرج لى رقعة فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جام لمعنى) قال . فقلت : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيت فساداً فى كلام بعض أهلى ، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ ، فأخذ أبو الأسود النحو عن على - عليه السلام - ولم يظهره لأحد^(٢) ، ثم أظهره فيما بعد .

وينبغى التوقف فى فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رأيت فساداً فى كلام بعض أهلى فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ) فإن هاتين الروايتين تؤيدان مانزعه عن طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التى يطلق عليها «اللحن» منذ البداية ، واتخاذ القواعد - منذ البداية أيضاً -

(١) طبقات خول الشعراء ص ١٢ .

(٢) إنباه الرواه ج ١ ص ٥ .

سلطة التمييز بين « الصواب والخطأ » كما قال علي - عليه السلام - إن صحت
فسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائماً على مدى الزمن ، إذ طبقه الدارسون
وخضع له الناطقون ، بل ازداد مع تأخر الزمن قوة وثباتاً ، وفي الوقت نفسه
اطرد نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » ، فزادت
مؤلفات النحو تضخماً ، وفي الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشاراً ،
وحين ألف سيبويه كتابه ، كان اللحن في الحضر خطراً صرف العلماء عن
لغته إلى البادية .

كما أنه بالاطلاع على الكتب التي ألقت نصاً في مقاومة اللحن
- مر جدولها في الفقرة السابقة - يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذي يجعل
« القواعد » مقياساً للصواب فيما وسم باللحن والخطأ من معاني الكلمات وبنيتها
وتراكيبها ، ويتبين ذلك في طريقة العرض أو في ذكر القواعد أحياناً
لتصحيح الخطأ .

• قال الكسائي : وتقول شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال :
شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له - هذا كلام العرب (١) .

• قال ابن السكيت : باب ما جاء على (فعلت) بالفتح مما تكسره
العامّة أو تضمه ، يقال (ما عسيت أن أصنع) قال الله جل ذكره (فهل عسيتم
إن توليتم) ولا ينطق منها باستقبال (٢) .

• وقال الحريري : يقولون (انضاف الشيء إليه وانفسد الأمر عليه)

(١) ما تلحن فيه العامة من ٢٥ .

(٢) لإصلاح المنطق من ١٨٨ .

وكلا اللفظين ليسا من كلام العرب ، وإنما يقال (أضيف الشيء إليه وفسد الأمر عليه) وذلك أن المماوغة تأتي من الثلاثي المتعدى ، أما الثلاثي اللازم مثل (ضاف وفسد) فلا يأتي منهما ذلك ^(١) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التي سلكها العلماء في جهودهم لمقاومة اللحن ، وإذا كان السكسائي يصحح الخطأ قائلاً (هذا كلام العرب) فإن السكيت والحريري يذكran « القواعد ، مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطأ واللحن ، فقاعدة ابن السكيت في المثال السابق هي « ما جاء على فعلت بالفتح مما تكسره العامة أو تضمنه ، وقاعدة الحريري « المماوغة تأتي من الثلاثي المتعدى ، أما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك ،

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن ، يلخصه أنه التمسك بالقواعد أساساً للتصويب ، وإيراد ما لا يوافق ذلك من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة .

أما الأمر الثاني الذي يدل على سطوة القواعد على أذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين ، فيمثل تلك المفارقة الطريفة عن أفراد من علماء النحاة ، نسب إلى بعضهم أنه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب إلى البعض الآخر أنه كان يلحن في كلامه ، وربما اعترف أحياناً بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئاً يغض من شأنه .

وعلى الرغم من أن هذين المظهرين يمثلان طرفين متباعين في الكلام فإن النظرة المدققة تكشف أنهما يصدران عن ظرف لغوي واحد هو

«سطوة الاستعمال» الذى وصفه ابن سلام بقوله «غلبت السليقة» ولم تكن نحوية» فقد دفع ذلك بعض النحاة إلى التظاهر أحياناً من الممكن من تلك السليقة النحوية، فأغربوا فى حديثهم ونغموه، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوى الشائع، فخفضوا له معترفين بأنه الواقع وإن خالف قوازين النحو وقواعد الإعراب.

ومن النحاة الأول الذين روى عنهم التتبع والإغراب «عيسى بن عمر» الثقفى (ت ١٤٩) الذى روى عنه ذلك فى كتب الطبقات التى ترجمت له، ومن ذلك هذا المرقف الطريف الذى كان يضرب فيه بالسياط لوديعه أضاعها وهو يصيح قائلاً (والله ما كان إلا أنياباً فى أسيناط قبضها عشاروك^(١)) وروى ذلك أيضاً عن أبي علقمة النحوى، الذى ساق السيوطى عنه المشهد الطريف التالى :

● مر أبو علقمة يوماً على عبد حبشى وصقلبي، فإذا الحبشى قد ضرب بالصقلبي الأرض، فأدخل ركبتيه فى بطنه، وأصابه فى عينيه، وعض أذنيه، وضربه بعضاً فشجه، وأسأل دمه، فقال الصقلبي لأبي علقمة: اشهد لى، ففضوا إلى الأمير، فقال له الأمير: بم تشهد؟! فقال: أصلح الله الأمير، بينما أنا أسير على كودنى، إذ مررت بهذين العبدين، فرأيت الأسحم قد مال على هذا الأبقع، فخطأه على فدفد، ثم ضغطه برصفتيه فى أحشائه، حتى ظننت أنه تدعج جوفه، وجعل يلج بشناتره فى جحمتيه يكاد يفقؤهما، وقبض على صنارتيه بميرمه، وكاد يحذهما، ثم علاه بنساء كانت معه، فعجفه بها، وهذا أثر الجريان عليه بينا.

فقال الأمير: والله ما فهمت مما قلت شيئاً.

فقال أبو علقمة : قد فهمناك إن فهمت ، وأعلمناك إن علمت ، وأدبت إليك ما علمت ، وما أقدر أن أتكلم الفارسية .

فجد الأمير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الأمير رأسه ، وقال للصقلى : شجنى خمساً ، وأعفى من شهادة هذا (١) .

وقد يثير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على « أبى علقمة » الذى يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقرع والإغراب ، أمام الأمير الذى يعاصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لأنه يمثل الاستعمال العادى للكلام ، ومع ذلك فإن لأبى علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف عصره ما يقدم له العذر فى طريقته الغريبة ، فهو نحوى قام فى نفسه أن الكلام العادى داخله الفساد ، ومن حقه أن يستعمل طريقة توافق لغة النحو التى يستنبط منها قواعده .

أما لحن علماء النحو فى حياتهم العادية واعترا فهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، إذ أن فى هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى على النحاة الذين يناصرون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوى .

● أورد الأصفهاني أن مروان بن أبى حفصة وجه كلامه لحماة الراوية فى حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة !! فتهافت الشيخ ، ثم قال : يا ابن أخى ، أنا رجل أكلم العامة ، وأتكلّم بكلامها (٢) .

● ودخل الفراء يوماً على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين إنه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : أتلحن

(١) بنية الوعاة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢) الأغاني ج ١٤ ص ١١٠ .

يا يحيى !! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحننت - فاستحسن الرشيد كلامه (١) .

• وقال أبو الطيب اللغوى : كان على المدينى لا يغير الحديث وإن كان لحننا ، إلا أن يكون من لفظ النبى ، فكأنه يجوز اللحن على من سواه (٢) .

فهذه المواقف المتناثرة - على قلتها - قد اعترف فيها بعض النحاة على أنفسهم باللحن ، وأنهم يخضعون له جرياً على استعمال بقية الناس ، لكنهم فى مجال الدراسة لم يأخذوا ذلك فى الاعتبار ، بل حكموا القواعد فى ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطأ .

أما الأمر الثالث والآخر - فيما نحن بصده - فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللغة ، وهذا أمر حدث مبكراً ، ونقلت إلينا بعض نماذجه فى المشاحنات التى كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابن أبى إسحاق والفرزدق ، وبين الأخفش وبشار ، وبين ابن خالويه والمنتبى - ونماذجه أشهر من أن تذكر - وفى هذه المواقف - على قلتها - يتمثل أيضاً الصراع بين القواعد فى يد النحاة والاستعمال اللغوى الذى لا يخضع لتلك القواعد .

وإذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فإن واقع الأمر أخطر من ذلك وأكثر ، إذ أن مظاهر الصراع بين القواعد التى استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوى الذى لا يتوافق مع تلك القواعد

(١) صبح الأعشى ج ١ ص ١١٣ .

(٢) مراتب النحويين ص ٦ .

— على الأقل منذ القرن الثانى الهجرى — ترتب عليه اتساع الهوة دائماً بين طرفى القضية ، فعانى النجاة من ذلك قديماً ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

أخيراً

يتضح من عرض الأمور الثلاثة السابقة لموقف النجاة مما أطلق عليه « اللحن » تأييد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطأ » وأن الذى وجه هذه الرؤية هو مقياس (القواعد لا الاستعمال) وضع ذلك فى جهردهم اللغوية ، وبعض مواقف حياتهم الشخصية ، وفى هذا الفراق والحصرة القائمة بين كلا الأمرين : القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، أما مدى توفيقهم فيها ، فله حديث آخر فى الفقرة التالية من هذا البحث إن شاء الله .

اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال

في رصد نظرة النجاء لما أطلق عليه « اللحن » ، في الكلام العربي ، تبين أنهم بذلوا جهداً مفيداً في جمع مظاهره ومادته اللغوية التي تسربت للفصحى على مدى العصور ، لكن المذأمل في هذه الجهود يفهم منها أنهم نظروا إليه في ضوء القواعد التي اعتبروها مقاييس الحكم عليه بالخطأ ، فاعتبروه أمراً خطيراً يهدد الفصحى في المعاني والصيغ وتأليف الكلام وإعرابه ، لذلك حاربوه بشدة ، ووقفوا منه موقف الشك والإنكار ، وتقويم هذا الموقف كله يكون بالآتي :

(أ) النظرة الحديثة للحن في ضوء تطور اللغة

(ب) الرأي في جهود النجاء حوله ونظرتهم إليه

إن نظرة اللغويين المحدثين للتغير في اللغة تتسم بالتسامح ، إذ تصف هذا التغير في ضوء استعمال الناطقين له فقط ، فلا تربط بينه وبين مستوى لغوي آخر لعصر مضى أو عصر لاحق ، كي ترتب على ذلك حكماً عليه بالتقدم أو التمهقر ، كما لا تنظر إليه في ضوء معايير جاهزة ، فما وافقها كان صواباً ، وما خالفها كان خطأ ولحنًا ، لأن مرجع ذلك كله هو الجماعة اللغوية التي تستعمل اللغة وما ترفضه أو ترفضه من معاني الألفاظ وصيغها وطريقة تأليفها .

يقول جسيبرسن : من رأى علماء اللغة أن المقصود بالتطور Development في اللغة لا يصح أن يلصق به المعنى المشهور في الأمور الأخرى ، بأنه اتجاه تقدمي نحو السكال ، في مقابل من يصرون على اعتبار التغير تمهقراً إلى الوراء أكثر منه اتجاهاً إلى التقدم ، إذ يقصد بالتطور ببساطة : أنه تغير

مستمر في اللغة بدون حكم على قيمة هذا التغير ، والذي يجب أخذه في الاعتبار هو اهتمام الجماعة نفسها المتحدثة باللغة ، فهي سلسلة من الأفعال الإنسانية بقصد الاتصال الفكري والشعوري ، وتلك وحدها هي الطريقة التي تقاس بها القيم اللغوية (١) .

إذ ينفى « جيسبرسن » في نصه السابق أن يوصف التغير في اللغة بالتقدم أو التدهور ، وبالرقى أو الانحطاط ، فهو تغير مستمر فقط ، وهذا من طبيعة اللغات ، وينبغي النظر إليه في ضوء الاستعمال ، ومن حق الناطقين وحدهم الموافقة عليه أو رفضه ، وهذا يقودنا إلى بيان قبول الجماعة اللغوية ورفضها بطريقة أكثر تحديداً .

يقرر « أولمان » أن اللغة - أية لغة - ليست ساكنة بحال من الأحوال ، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها ، وإن اختلفت سرعة التغير من فترة زمنية إلى أخرى ، فإنها موجودة على كل حال ، فلو قمنا بدراسة فترتين متباعدتين للغة ما ، فسيؤدي ذلك إلى وضوح اختلافات عميقة كثيرة بينهما ، ومع ذلك فإن التغير لا يتم بطريقة عشوائية ، بل يسير وفقاً لاتجاه منظم .

إذ يبدأ أولاً بالابتداع والتجديد . يحدث ذلك من فرد أو أفراد ، فإذا صانف التغير قبولاً بين من يستعملون اللغة ، انتقل إلى مرحلة أخرى هي مرحلة انتشار هذا التغير .

حينئذ ينفذ إلى نظام اللغة ، ويصبح عنصراً من عناصرها بقوة الاستعمال (٢) .

(١) انظر Language, its Nature, Development, & Origin, pp

فإدخال التغير في عنصر من اللغة لا يعنى بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين ، فقد لا يبق أصلاً ، إذ ينسى وينتهى أمره ، وقد يبق مقصوراً على صاحبه أو على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها ، لكن إذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله ، فإن ذلك يعنى حدوث تغير في اللغة ، وليس من حق أحد رفضه أو رده ، وسواء جاء هذا التغير دون قصد من الناطقين أنفسهم - كما هو الغالب فيه - أم حدث بطريقة مقصودة من فرد أو أفراد ، كأن يقترح أحد العلماء أو الأدباء لفظاً أو تعبيراً يراه جديراً بالاستخدام ، أو تقترح هيئة مختصة - كالجمع اللغوى مثلاً - استعمال مصطلح أو صيغة أو تركيب ما ، فإن كل ذلك - كما سبق - يبق مجرد اقتراح ، يتوقف الأمر فيه على الرضى به واستخدامه من الناطقين أنفسهم .

تلك هى النظرة الحديثة للتغير في اللغة ، فما هو رأى فى موقف النحاة العرب من اللحن فى ضوء ذلك ؟ .

نبادر أولاً إلى نفي التردد والشك حول روايات اللحن ومادته التى جمعها النحاة ، إذا افترض أسناذنا الدكتور أنيس ، أنها تحتل الصحة والوضع من النحاة ، ليخرج من ذلك بما يؤيد رأيه المشهور فى حركات الإعراب ، فرتب على احتمال صحتها أن الإعراب لم يكن سليقة بين العرب ، وعلى احتمال وضع النحاة لها أن الإعراب نفسه من عمل النحاة ، وقد اخترعوا روايات اللحن ليؤكدوا قيمة معرفتهم وحدهم بالإعراب ، وينالوا - كما يقول - المثالة لدى الخلفاء والأمراء (١) .

والحق أن هذا الشك لا موضع له ، والأقرب إلى الصواب أن ما رواه

النحاة مما أطلقوا عليه « اللحن » قد حدث فعلا ، وقد يكون فيه دلالة على نفى السليقة كما فهمها الأقدمون ، لكنه لا غرابة فيه من وجهة النظر الحديثة التي تفسر السليقة على أنها اكتساب اللغة بالتمرين والدربة ، وأن اللغة - بهذا الفهم - يحدث فيها التغير والتطور مما سماء الأقدمون « اللحن » وافترض أن النحاة أنفسهم قد وضعوا روايات اللحن - مما نقلته كتب الطبقات أو مؤلفات اللحن الخاصة على مدى العصور وقد قاربت ثلاثين مؤلفا^(١) - يعتمد عن الظن أنهم توفروا على وضع ذلك كله ، وأن هذه المادة كلها مزيفة مدعاة ، كما يضاف إلى ذلك أن مظاهر اللحن التي أحصاها النحاة لم تقتصر على حركات الإعراب فقط بل شملت - كما سبق عرضه في الباب الأول - الصيغ وتآليف الكلام ومعاني الألفاظ وحركات الإعراب ، فتعميم الشك والتردد في جهود النحاة عن اللحن بهذه الصورة لا يؤيده واقعها نفسه .

فاللحن قد حدث فعلا ، وجهود النحاة حوله صحيحة ، وعملنا هنا تقويم جهودهم في جمع مادته ، ونظرتهم له .

إن جهود النحاة في جمع مادة ما أسموه « اللحن » التي نقلتها كتب طبقات النحاة وضممتها كتب « لحن العوام » في القرن الثاني الهجري وما بعده جهود موفقة جديدة بالاحترام والتقدير ، والمادة العلمية التي حوتها عن مظاهر اللحن المختلفة تدل على دقة تتبع للجزيئات وطول الاستقراء والنظر في اللغة الفصحى ، لكن هذا الجهد الصابر - للأسف - لم يؤد دوره الصحيح باعتباره تغيرا في اللغة وتطورا في عناصرها على مدى العصور ، لأن النحاة نظروا إليه في ضوء مسلمات علمية منها : اعتبار اللغة العربية الفصحى في الحضر قد بلغت غاية كمالها حوالى منتصف القرن الثاني الهجري ، وأن ما طرأ عليها من

(١) سبق ذكر الكثير منها في جدول ترتيب زمني ص ٣٣ .

تغير بعد ذلك فساد وانحرف من الواجب مقاومته ، ومن ذلك اللحن بطبيعة الحال .

فقد تجاوز النجاة موقف الباحث في وصف الاستعمال المتطور إلى موقف آخر قاموا فيه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز ، فناصروا تطور اللغة العداء ، واستخدموا في ذلك القواعد التي توصلوا إليها من قبل ، لوضع عناصر التغير في اللغة تحت سيطرتها ، ثم الحكم عليها بالخطأ . وبذلك لم يؤد جهدهم في تقصى جزئيات ما أسموه « اللحن » ، إلى نتائج المرجوة في معرفة تطور الفصحى وتاريخها ، لعدم اعترافهم بالتطور أصلاً ، ولمراعاة جانب القواعد لا الاستعمال .

ومن المفيد لنا الآن — بعد أن فات ما فات — القيام بالأمرين التاليين نظراً وعملاً .

أولاً : تنحية الفكرة القديمة عن المادة المجموعة في كتب « لحن العوام » ، باعتبارها فساداً وانحرافاً ؛ ليحل في النظر إليها نظرة أخرى هي : اعتبارها تطوراً في اللغة يهديننا السبيل في دراسة مراحلها المختلفة .

ثانياً : النظر في هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ؛ ليعلم من ذلك مدى انتشارها في الاستعمال ، فيقبل منها ما تحقق له ذلك ، ويتوقف فيما عداه ، دون وسمه بالخطأ أو الفساد أو اللحن ، وفي ظني أنه سيقبل من هذه المادة اللغوية كثير من الصيغ واستخدام الأدوات النحوية والتركيب ، دون ما يخل بالإعراب أو يشوه الصيغ .

وتنفيذ ذلك ليس بالأمر المستبعد ، إذا أخذ في الاعتبار أن معظم كتب « لحن العوام » ، ما زالت مخطوطة أو مصورة ، وتناول نصوصها بالتحقيق ينبغي أن يصحبه دراسة لهذه النصوص في ضوء المنهج السابق ، فتضائر بذلك جهر ومفيدة ، لمعرفة تطور الفصحى في عصورها المختلفة .